

حديث صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني للقناة التلفزيونية الفرنسية «فرانس 2»

بثت القناة التلفزيونية الفرنسية «فرانس 2» يوم 2 رمضان 1414 هـ الموافق 3 مارس 1994 برنامجا عن مسجد الحسن الثاني في الدار البيضاء استهلته بحديث أجريته مع صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني كـ «ضيف استثنائي» في هذه الحلقة الأولى من سلسلة برامج تبثها هذه القناة بمناسبة شهر رمضان تحت عنوان «قافلة الليل».

وأبرز جلالة الملك الحسن الثاني في هذا الحديث الذي أجراه مع جلالته في المغرب منشط الحلقة السيد فريدريك سينوان.. أن المغرب بقدر ما هو متجذر في أكثر الممارسات قويا من أصول ومنابع الدين الإسلامي الحنيف بقدر ما هو متفتح على الدعوة للتسامح مع الديانات الأخرى. ويتضمن برنامج «قافلة الليل» الذي يخرجهم السيد توفيق فارس والذي أفتتح بهذا الحديث مع جلالة الملك وبو بورتاج مطول من مسجد الحسن الثاني باعتباره «أحدث الصروح المقدسة في الإسلام» سلسلة من الحلقات المخصصة على التوالي لجامع الزيتونة في تونس و مسجد مدريد بإسبانيا وجامع تو ميونكتو بألمانيا.

وفيما يلي النص الكامل لحديث صاحب الجلالة للقناة التلفزيونية الفرنسية:

سؤال:

يسعدنا وبشرتنا أن تمتضيف في هذه الليلة الأولى من لبالي رمضان المخصصة لبرنامج «قافلة الليل» شخصية كبيرة ألا وهي صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني ملك المغرب.

واسمحوا لي يا صاحب الجلالة أن أعرب لكم في البداية عن تشكرات الجمهور الفرنسي بصفة عامة والمسلمين في فرنسا بصفة خاصة على تفضلكم بقبول المشاركة في هذا البرنامج.

إن سؤالي الأول يتعلق بظاهرة لفتت انتباهي كثيرا وهي أن هناك نوعا من الجهل في الغرب برسالة الإسلام وبالطريقة التي يمارس بها.

فهل يمكنكم أن تشرحوا لنا بإيجاز الأسباب الكامنة وراء هذا الجهل؟

جواب جلالة الملك:

أود في البداية أن أقول لكم كم أنا حريص كلما سمحت لي الظروف بذلك على متابعة برامجكم، ذلك أنني أجدها مطبوعة بروح الرغبة في المعرفة ونشرها خاصة وأن هذا البحث عن المعرفة يطبعه التواصل الذي لا يمكن تفسيره إلا بالحرص على احترام الآخرين.

وأود كذلك أن أشكركم على هذه الماشع، لذلك إن إحدى خصائص الإسلام هي التواصل.

أما فيما يتعلق بالجواب على سؤالكم، فأظن أن انعدام التواصل هو الذي جعل الجاهل يلف حقيقة الإسلام والحضارة والثقافة الإسلامية، ففي السابق كان علماءكم في العصر الوسيط يأتون من أجل المعرفة لتعلم اللغة العربية ودراسة الطب والفلسفة العربيين.

أما الآن فقد انقلبت الآية وصيرنا نحن الذين نذهب للتعليم في الغرب، وأنا على يقين من أنه لو كان هناك انتشار أفضل لصورة الإسلام ولحضارته ورسائله لفتح ذلك آفاقاً جديدة للكثير من الأشخاص، ولا أدل على ذلك من هذا العدد الكبير من المستعربين والمختصين في الدراسات الإسلامية المعرونيين خاصة في فرنسا. ذلك أن هؤلاء كتبوا أشياء رائعة عن الإسلام ولغته وثقافته بل إن البعض مثل ماسينيون الذي كان معتقلاً في سوريا جددوا إيمانهم من خلال التصرف الإسلامي.

وأظن لي الوقت الراهن أن هناك ما يكفي من وسائل النشر بحيث يمكن لأي كان أن يثير اهتمام فضول العالم الغربي بما تسببه الفتون والثقافة والحضارة الإسلامية.

سؤال:

من بين الأفكار المسيقة حول الدين الإسلامي التخوف من عدم تسامح هذه الديانة رغم تأكيد القرآن على أنه «لا إكراه في الدين». فكيف التعامل مع هذا الواقع..؟

جواب جلالة الملك:

إن الأمر يتعلق هنا أيضاً بالجهل، ذلك أن القرآن الكريم لا يتضمن هذه الآية

وحدما، بل هناك آيات أخرى في نفس المعنى وخاصة في سورة البقرة حيث يقول عز وجل: (كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا تفرق بين أحد من رسله...) ومن بين تعاليم النبي صلى الله عليه وسلم أنه عندما يجد مسلم نفسه في بلد غير إسلامي ويريد أن يصلي فلا يجد مسجدا فيتعين عليه أن يبحث عن كنيسة أو بيعة لأداء صلاته بذل أداؤها في الشارع أو في مكان عمومي. وأعتقد أن الجهل لا يمكنه أن يتطري إلا عن عدم التسامح. وعلى كل حال فإن لفظ الكرم الذي كان مستعملا في القرن السابع عشر كان له في الحقيقة هذا المعنى. فحينما يقال عن رجل بأنه كريم فإن ذلك يعني أنه كان يعطي من فكره ولكمه يتقبل كذلك أفكار وعواطف الآخرين. وأعتقد أنه ليس هناك تناقض بين الأمرين وأن الأمر يتعلق هنا أيضا بالجهل.

سؤال:

ألا يتعين التزام المحدث من ملوله بعض الكلمات التضليلية الذي هو ردیف للجهل. فعلى سبيل المثال غالبا ما نفهم في صحافة الغرب أن لفظ «أصوليين» يعني حركات تفسد رسالة الإسلام حسب نهجهم. فهل أنا مضطىء وكيف يمكن استعمال لفظ «أصوليين» الذي يتكرر كثيرا؟

جواب جلالة الملك:

من حسن حظ اللغة الفرنسية أن لها كلمتين لوصف هذه الظاهرة: فعندكم كلمتا «أصوليون» و«فلا».

ونحن في المغرب أصوليون أي يتبنينا أقرب ما يمكن من أصول الدين الإسلامي الحنيف، ولكننا لسنا بفلا وفي المقابل فلا توجد في اللغة الإنجليزية سوى كلمة «أصوليون».

نأخذ موجود في كل الديانات وهناك حديث لرسول الله يقول:

«إن هذا الدين بسر ولن يشاد أحدكم هذا الدين إلا غلبه»

أذن لماذا البحث عن غلو يمكن اعتباره نوعا من المازوشية بالنسبة للمفرد إزاء نفسه؟ وهي مازوشية تتحول إلى مادية وعدم تسامح تجاه الآخرين. إن الأصولية تعني التشبث بالأصول والتشبث بالفلسفة الحقيقية للدين وفلسفتنا الإسلامية هي التسامح والتساكن وفهم الآخرين.

سؤال:

صاحب الجلالة لقد سافرت كثيرا في المدة الأخيرة إلى الشرق الأقصى واسترعى انتباهي أننا نجد في عدد من المجتمعات - التي تعبد عدة آلهة أو التي تقدر آلهة من الطبيعة - شخصيات ذات سمو أخلاقي وفلسفات ممتازة. فهل الدين توحيدى في كنهه وكيف تكون الحاجة إلى الله والبحث عن الإله في حد ذاتها أمر مهم...؟
جوابه جلالة الملك:

إن البحث عن الكمال في معرفة الله ليس أمرا محرما لا في الإسلام ولا في النصرانية ولا في اليهودية. بل على العكس فهو أمر مستحب. إلا أنه لا ينبغي أن يكون إلا من أجل معرفة الله الواحد الأحد. فما يميز الديانات السامية الثلاث هي أنها أولا تنحدر من حيث التسلسل التاريخي من سيدنا إبراهيم، وأنها كلها تدعو إلى عبادة الله وحده، والله ليس بظالم فهو يسمح بالبحث عنه في الكتب المنزلة وفي الكون ولهي كل ما خلق.
وأعتقد أنه ليس هناك أي تناقض بين البحث عن الله في الكتب المنزلة وبين البحث عنه في الكون بل على العكس من ذلك تتجلى عظمة الله في مخلوقاته. والأهم أن محاربة البحث عن الله من باب الشرك هي بدعة تحرمها الديانات الثلاث.

سؤال:

لقد شاهدت هذا الصباح القس بيير في الشفرة وقد استرعى انتباهي حماسه ومحرمته للجواهر من أجل نعل الخير. ما هو رأيكم في هذا الشخص؟
جوابه جلالة الملك:

إنني أعرف القس بيير منذ حوالي 35 سنة لما كان برلمانيا. وقد كان متحمسا جدا ولا زال.
وأنا أتعجب كل يوم من نشاطاته لأنه في نهاية المطاف يدعو إلى البسطة واستبان الأحداث والبحث المعمق إلى أقصى حد لمعرفة حاجيات الفقراء. إنه يبحث على الكفاح المتواصل من أجل تحسين وضعية الإنسان.
وكل هذه المبادئ هي تقليديا وتاريخيا مبادئ دياناتنا الثلاث. وهو يقوم بذلك بروحانية الخاصة المتميزة بالحماس وحضور البديهة واختبار العبارة المناسبة

التي تكون مدوية عند الضرورة.. وأعترف بأنني أغبط القس بيسر على الحماس الذي لا زال يتحلى به وهو في هذه السن.

سؤال:

لقد سبق لكم في إطار الحوار الأخير الذي نتحدثه مع أتباع الديانات الأخرى أن استقبلتم البابا وهو حدث ذو دلالة بالنسبة لنا نحن الغربيين. فما هو تقييمكم للبطل هذا الحدث..؟

جواب جلالته الملك:

لقد جاء في القرآن الكريم أن عيسى عليه السلام روح وكلم الله. وما أن البابا يمثل قي شخصه كل أتباع الديانة المسيحية لا يسعني بصفتي سبط الرسول وأهيو المؤمنين إلا العودة إلى الأصول من خلال لقاء زعيم روحي آخر.

ولم تكن هذه هي المرة الأولى في حياتي التي ألتقي فيها أحد الباباوات. فقد كان بيوس الثاني عشر هو أول من التقيت به (بعد التقيت بالبابا مرتين إحداها في روما باسم لجنة القدس والثانية عندما شرفنا بقدمه لأرض الإسلام للقاء إخوانه في الله).

سؤال:

إن ما كان أكثر إثارة هو حشود الجماهير التي أتت لتحيته؟

جواب جلالته الملك:

أجل، لقد كانت هناك حشود غفيرة. ومرد ذلك كوننا عاشرنا العديد من المسيحيين سواء الكاثوليك أو البروتستانت الذين لا تعيننا الخلافات الداخلية بينهم. فعدد من أساتذتنا وأطبائنا كانوا مسيحيين. وعليه فإن لقاء زعيم المسيحيين والكاثوليك ليس أمراً جديداً بالنسبة لنا. وما لاشك فيه أن شخصية البابا جذابة للغاية ولم يسر لأحد الباباوات أن احتل الصدارة في الصحف والمجلات مثل البابا يوحنا بولس الثاني. كما أن لقاء شخصيتين بلباسهما الأبيض التقليدي يمثلان ديانتين تدعوان للحب والسلام كان حدثاً فريداً من نوعه وهذا ما جعل الشوارع تكتظ بالناس.

سؤال:

إن أداء تربية الصوم يتطلب التحلي باليمان قوي. واعتباراً لذلك تعتبر هذه

الفريضة متميزة من بين الفرائض الإسلامية الأخرى.
ما هو رأيكم في الأشخاص الذين يجدون مشقة كبرى في الصوم في بلد مثل
فرنسا حيث يسير المجتمع برتيرة تختلف عن رتيرة الدول الإسلامية في هذا
الشهر؟

ماذا تودون قوله لهؤلاء الذين يقومون بهذا المجهود الكبير؟

جواب جلالة الملك:

أول لهم أولا بأن لهم أجر عظيم ذلك لأن الصيام زهد يصبح أكثر مهلة حين
يؤدي وسط الجماعة.

ثانيا من الأكيد أنه كلما توجهنا صوب الشمال إلا وأصبح النهار أطول والليل
أقصر ذلك عكس ما يعتقده البعض مع العلم أن أوقات العمل ليست مطابقة لتلك
المعمول بها في الدول الإسلامية.

لهذا فإن الذين يؤدون هذه الفريضة في مثل هذه الظروف يستحقون كل تقدير
وأنا على يقين من أن الله سيثيبهم على ذلك.

سؤال:

وبصفة عامة يا صاحب الجلالة إن ممارسة شعائر دين معين إما أن تكون مواكبة
للتحولات التي تشهدها مختلف العصور تبعاً للاكتشافات العلمية ولجموعة من
الأمور أولاً تكون. فهل الدين الإسلامي يساير التطورات الحاضرة؟

جواب جلالة الملك:

في موروثنا الإسلامي لم يسبق لنا نحن المسلمين أن وضعنا أحداً في محرقة...
ولم يسبق لنا إطلاقاً أن أحرقتنا أحداً لتخليصه من الأرواح الشريرة أو لأنه قال بأن
الأرض تدور. وأذن فنحن متفتحون بطبعنا ولذلك فإننا نتطور. وإلى ذلك فإنه
حتى في عهد الرسول عرف الدين الإسلامي عدداً من التطورات. لقد أمر الله بقطع
يد السارق وهذا عقاب كما في جميع القوانين الجنائية. ففلسفة القانون الجنائي
تنوم على أعطاء العبرة لمن يعتبر للدرجة أنه حتى عقوبة الاعدام لم يشرع في
إفنائها إلا في غضون العقود الأخيرة. وكان الأمر إلى حد الآن كالآتي: من قتل
نفساً وجب قتله إما بضرب رقبعته أو شنقه. وبالنسبة للإسلام فإنه بعد فترة وجيزة
من وفاة الرسول عم الجفاف فأمر الخليفة عمر بعدم قطع يد السارق لأنه كانت هناك

ظروف تخفيف. وبطبيعة الحال إذا قمنا - وأنا هنا أتحدث عن بلدي - بفعل نفس الشيء فإننا سنضع أعباء اجتماعية ثقيلة على كاهل الدولة لأننا خلقنا معدما من الناحية المادية وعاجزا من الناحية المسية. كما سيكون من ياب السخرية أن نطلب من شخص ما أن يذهب لشقاضي معاشد لأن يده قد قطعت. إذن لا بد من مساندة تطور البشرية. وإذا كان من غير الجائز المساس بالفرائض فإنه ينبغي التكيف مع العصر إذا كنا نرغب في التسامح الذي يعني الأخذ والعطاء فإذا كان المرء يرغب في الأخذ فإن عليه أن يكون لي مستوى هذا الأخذ وإذا كان يرغب في العطاء فعليه أن يتعلم الأسلوب البيداغوجي للعطاء وإذن فإن الأمر يتعلق بتكيف متواصل من طرف المؤمن، لكن من دون المساس بأركان الإسلام المتمثلة في الإيمان بوحدة الله ربأن محمدا عبده ورسوله وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج بيت الله لمن استطاع إليه سبيلا.

سؤال:

جلالة الملك لقد زرتا مسجد الحسن الثاني الرائع بالدار البيضاء ، وأريد أن أطرح عليكم سؤالا: هل هذا المسجد الرابع هو رمز لعهد زاهر أم هل هو عمل تابع من الإيمان أم هل هو تعبير عن الانتماء للأمة الإسلامية؟

جواب جلالة الملك:

هو قبل كل شيء عمل تابع من الإيمان وهو كذلك عربون محبة لمدينة الدار البيضاء التي كانت تدير لي مدينة بطن إشعاع روحي. وأخيرا إنه عمل وطني ذلك أنني أردت أن أظهر الآن وللأجيال القادمة أن المغرب هو ذلك البلد الذي سيمواصل دائما ويعون الله التشييت بما هو تفليني وثابت مع قبول أكثر التفتيات حداثة وتسخير هذا المزيج في ذلك الطابع الذي ميز المغرب على الدوام وهو كونه صلة وصل بين الشرق والغرب وإنما أيضا بين الأمس واليوم وغدا وهذا ما جعلني أشيد هذا المسجد.

سؤال:

هلا تفضلتم يا صاحب الجلالة قبيل وداعنا بقول كلمة إلى كل من يشاهدكم من المغاربة وإلى كل المسلمين والفرنسيين وإلى كل أولئك الذين بقوا أمام جبهاتهم لفرزهم لتتبع حديثكم هذا.

جواب جلالة الملك:

باهي، ذي بدء أقول لكافة الذين يشاهدوني مهما تكن معتقداتهم والسلام عليكم، وبعد ذلك سأطلب منهم أن يتصوروا بأن عدد المسلمين في العالم يصل إلى مليار ومائتي مليون، وإذا ما رجعتنا ضمن هؤلاء المسلمين لنقل 0.001 بالمائة وهذا على كل حال سيشكل بضعة ملايين - من لا يتماشى سلوكه مع بعض الشعائر الدينية ألا يحكم على المليار والمائتي مليون مسلم من خلال هذه النسبة، وإقني أود إبلاغ المشاهدين رسالة مهمة لكون التسامح متبثق من رحم المحبة ولذلك فإننا نتمنى التسامح والأخوة ونطلب من الله نحن المسلمين أن يهدينا حتى لا نخدش قراءه حياة من نعيش بين ظهرانيهم.